

## الدرس الخامس والعشرون

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم فقِّهنا في الدين ووفقنا لاتباع سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، اللهم وعلمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، واجعل إلهنا ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا يا رب العالمين . أما بعد :

قال الإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه «عمدة الأحكام» :

#### كتاب الصلاة - باب الذكر عقيب الصلاة

١٣٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَفَعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا انْصَرَفُوا بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ». وَفِي لَفْظٍ «مَا كُنَّا نَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِالتَّكْبِيرِ» .

\*\*\*\*\*

قال المصنف الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه «عمدة الأحكام» : ((باب الذكر عقيب الصلاة)) أي بعد الصلاة مباشرة بعد أن يسلم المصلي من صلاته ، والمراد بالصلاة هنا : المكتوبة ؛ وهي خمس صلوات كتبها الله تبارك وتعالى على عباده في اليوم والليلة ، ويشرع عُقْبِ هذه الصلوات أذكارٌ عظيمة ماثورة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، يشرع للمسلم أن يأتي بها دبر كل صلاة مكتوبة تأسياً بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم واقتداءً به عليه الصلاة والسلام .

وهذه الأذكار الإتيان بها دبر الصلاة سنة مؤكدة ، وكما بين العلماء رحمهم الله تعالى أن هذه

الأذكار الماثورة دبر الصلاة لها حكم عديدة أشار العلماء رحمهم الله تعالى إلى جملة منها :

- من هذه الحكم : تحصيل الأجور والثواب وسيأتي معنا إشارة إلى الأجور العظيمة المترتبة على عناية المسلم بهذه الأذكار المباركة دبر كل صلاة .

■ ومما ذكره العلماء أن هذه الأذكار والعناية بها وملازمة المرء لها دبر كل صلاة هذا من علامات القبول ؛ لأن من علامات قبول الحسنة الحسنة بعدها ، فإذا أتى العبد بالصلاة ثم سلم وبعد الصلاة اطمأن وجلس يذكر الله عز وجل فإن هذه الطمأنينة وهذا الذكر هو من علامات القبول ، لأن طمأنينة النفس بهذه الصلاة تجلب له حسنة الذكر لله سبحانه وتعالى دبر الصلاة .

■ ثم إن هذه الأذكار شأن المسلم معها شأن الحال المرتحل ؛ وهذا شأن المسلم يخرج من طاعة ويدخل في طاعة ، وينتهي من عبادة ويدخل في عبادة ، فإذا فرغ من صلاته وسلم انتقل إلى هذه الأذكار وشرع في هذه الأذكار العظيمة المباركة الماثورة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

■ أيضا من الحكم أن صلاة المرء مهما عمل على تكميلها وتتميمها لا تخلو من نقص ؛ فتأتي هذه الأذكار دبر الصلاة جابرة لنقص صلاته متممة مكملة . إلى غير ذلك من الحكم العظيمة التي تترتب على عناية المرء بهذه الأذكار الماثورة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

أورد رحمه الله أول حديث في هذا الباب حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَفَعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ؛ هذا فيه مشروعية رفع الصوت بالأذكار التي تكون دبر الصلاة وأن هذا الذي عليه سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

قال «أَنَّ رَفَعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ» ؛ قوله «مِنَ الْمَكْتُوبَةِ» فيه من الفائدة أن هذه الأذكار إنما تشرع بعد المكتوبة ليس بعد النافلة وإنما هي بعد الصلوات المكتوبة وهي خمس صلوات كتبها الله على عباده في اليوم والليلة . وأن هذه الأذكار موضع الإتيان بها حين الفراغ من الصلاة مباشرة ، بعد أن يسلم يشرع في هذه الأذكار .

وقوله «كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أي أن هذا الذي كان عليه العمل من نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

وقد بين العلماء رحمهم الله أن هذا الرفع للصوت ينبغي أن يلاحظ فيه أمران :

■ الأمر الأول : أن لا يكون رفعًا للصوت بشكل عالي مرتفع ، وإنما يكون رفعه بصوت متوسط مثل ما قال الإمام ابن باز رحمه الله عليه يقول رحمه الله تعالى عن هذه الأذكار : «يؤتى بها جهراً متوسطاً ليس فيه تكلف» ؛ هذا لفظه رحمه الله «يؤتى بها جهراً متوسطاً ليس فيه تكلف» يعني ما يتكلف رفع الصوت العالي ، ولا أيضا يكون يأتي بها بلا صوت وإنما يكون بصوت متوسط ولا يكون فيه شيء من التكلف .

■ الأمر الآخر مما يلاحظ في مسألة رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة : أن لا يكون جماعياً ؛ فإن الذكر بالصوت الجماعي هذا من البدع المحدثه ليس من هدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما كل مسلم يرفع صوته رفعاً متوسطاً دبر الصلاة ولا يكون ذلك على شكل جماعي بحيث البدء واحد والانتهاء واحد فهذا ليس من هدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ولا من سنته صلى الله عليه وسلم .

وقد قال العلماء إن من الفائدة في مجيء السنة بهذا الرفع للصوت بالذكر دبر الصلاة : أن فيه تعليم للصغير وتعليم أيضا للكبير الجاهل الذي لا يعرف ، وأيضا تذكير للغافل ، الإنسان قد يغفل إذا سمع هذه الأذكار تنشط وأقبل على الإتيان بها .

قال : ((قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا انْصَرَفُوا بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ»)) قيل والله تعالى أعلم أن ابن عباس وقتها كان صغير السن فكان يسمع هذا الصوت بالذكر ، ومثل ما جاء في الرواية الأخرى قال : **«وَفِي لَفْظٍ «مَا كُنَّا نَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِالتَّكْبِيرِ»** أي أن الناس الذين حول المسجد وقرييين من المسجد يعرفون أن الصلاة انقضت بهذا التكبير الذي يُسمع من داخل المسجد ، والمار قريبا من المسجد أو مثلا جاء متأخراً فإنه يعرف انقضاء الصلاة بالتكبير الذي يسمعه والذكر الذي يسمعه من داخل المسجد وهو دليل على انقضاء الصلاة .

في زماننا يعرف المتأخر انقضاء الصلاة بالزحام الشديد على باب المسجد خارجين بعد السلام مباشرة ، بعد السلام مباشرة يرى زحاما شديداً عند الباب حتى إن الداخل ما يجد مجالا أن يدخل من شدة زحام الخارجين من المسجد دبر الصلاة ، ويخرجون بعد انقضائها مباشرة لا يجلسون لا يطمئنون لهذه الأذكار العظيمة المباركة المأثورة عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام !! بعضهم إذا وجدته يقوم بهذه السرعة تظن إن عنده عمل مهم ومصلحة مهمة وأمر لا بد من

إنجازه فقام إليه بهذه السرعة ، ثم إذا أكملت ذكرك في الصلاة وجدته واقف أمام باب المسجد مع بعض رفقائه يتحدث في حديث من حديث دنياه والله المستعان .

قال رحمه الله تعالى :

١٣٤ - عَنْ وَرَادٍ مَوْلَى الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : أَمَلَى عَلِيَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجُدُّ)) ، ثُمَّ وَفَدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَمِعْتُهُ يَأْمُرُ النَّاسَ بِذَلِكَ. وَفِي لَفْظٍ: ((كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلٍ وَقَالَ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَادِ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعِ وَهَاتِ)).

\*\*\*\*\*

ثم أورد المقدسي رحمه الله تعالى هذا الحديث عَنْ وَرَادٍ مَوْلَى الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أَمَلَى عَلِيَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ» ؛ وهذا الكتاب الذي كتبه المغيرة إلى معاوية وكل منهما صحابي جليل لكن هذا يدل على حرصهم على الخير وتكاتبهم به وسؤال بعضهم بعضا عنه وتواصيهم . فهذا الكتاب الذي كتبه إلى معاوية كان بناء على طلب من معاوية كما جاء في بعض روايات هذا الحديث أن معاوية كتب إليه «أَكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ، وجاء في بعض الروايات أنه قال : «كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةَ: أَكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَلْفَ الصَّلَاةِ» ؛ في هذه الرواية قيّد الطلب بأن يكتب له ما كان يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم يقوله خلف الصلاة أي دبر الصلاة ؛ وهذا يفيدنا حرصهم رضي الله عنهم الشديد على المعرفة بما كان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم دبر الصلاة ، وهذا الحرص مبني على حرصهم على العمل بهديه وما كان يقوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

فكتب له المغيرة : ((إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجُدُّ)).

قوله رضي الله عنه «كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ» ؛ دبر الشيء يطلق على ما جاء بعده مما هو متصل به وجزء منه ، ويطلق على ما هو بعده مما هو ليس متصلاً به ، وكل من هذين النوعين لمعنى الدبر ورد به الحديث

- فما كان من قبيل المنفصل هذا الحديث قال «كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ» يعني بعد أن يسلم بعد أن تنقضي الصلاة .

- وأما حديث معاذ قال ((لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)) فالذي حققه شيخ الإسلام أنه يقال قبل السلام ، ويبيّن رحمه الله ما كان مما ورد فيه أنه يقال دبر الصلاة إن كان من قبيل الدعاء فهو قبل السلام ، وإن كان من قبيل الذكر فهو بعد السلام .

قال : ((كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )) وهذه كلمة التوحيد يشرع للمسلم أن يهمل بها دبر كل صلاة .

وجاء التهليل في هذا الحديث حديث المغيرة تهليلة واحدة يقول بعدها « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ، وجاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن ابن الزبير كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» ؛ فجاءت في حديث عبد الله بن الزبير وهو حديث ثابت في صحيح مسلم يؤتى بهذا التهليل ثلاث مرات ، ويشترك حديث ابن الزبير مع حديث المغيرة في اللفظة الأولى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» . وفي حديث ابن الزبير زيادة تهليلتين أخريين ، وفي حديث المغيرة زيادة «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجُدُّ» ؛ والأولى والله تعالى أعلم الجمع بين ما دلت عليه الروايتان ، والجمع بينهما في التهليل دبر كل صلاة أن يقول المسلم : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» ؛ فأتى بمجموع ما دلت عليه الروايتان أو الحديثان ؛ حديث ابن الزبير وحديث المغيرة ابن شعبة .

هذه التهليلات الثلاث التي يشرع قولها دبر كل صلاة فيه أولاً مكانة كلمة التوحيد وأهمية عناية المسلم بها في الأوقات المختلفة وتتأكد في أوقات معينة منها دبر الصلاة ، ويؤتى بها ثلاث مرات .

و «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» كما لا يخفى هي كلمة التوحيد ومدلولها هو التوحيد ، فلا توحيد إلا بـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ، وهي قائمة على النفي والإثبات ركنان عليهما يقوم التوحيد النفي والإثبات «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هذا نفي للعبودية عن كل من سوى الله ، «إِلَّا اللَّهُ» إثبات للعبودية بكل معانيها لله سبحانه وتعالى وحده ، ثم أتبع في هذه التهليلات الثلاث بما يحقق معناها ويؤكد على مدلولها ويبين مقصودها؛ فالتهليلة الأولى أتبع بقوله «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

وقوله ((وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)) هذا تأكيد للتوحيد الذي دلت عليه «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ، لأن التوحيد نفي وإثبات ، فأكد الإثبات بقوله «وَحْدَهُ» وأكد النفي بقوله «لَا شَرِيكَ لَهُ» فجاءت كلمة وحده لا شريك له مؤكدة النفي والإثبات الذي هو مدلول «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .  
وقوله ((لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) هذه الثلاثة براهين لتوحيد الله ووجوب إخلاص الدين له ؛ فالله لا إله إلا هو ولا معبود بحق سواه لأنه وحده له الملك ، وحده له الحمد والثناء الحسن ، وحده القدير على كل شيء . فهذه الثلاثة براهين على وجوب توحيد الله وإخلاص الدين له .

التهليلة الثانية أتبع بقوله ((وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ)) ؛  
وقوله «وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ» هذا هو معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ، فأتبع بتأكيد أو تقرير معناها «وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ» .

وقوله ((لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ)) هذه الثلاثة براهين للتوحيد براهين لتوحيد الله وأن الله سبحانه وتعالى وحده يُعبد ويُقصد ويلتجأ إليه ويُذلل لأنه وحده له النعمة وحده له الفضل وحده له الثناء الحسن جل في علاه . والثناء الحسن يكون بأسمائه الحسنی وصفاته العليا

جل في علاه ؛ وهذا يبين أن هذه التهليلات الثلاث جمعت أنواع التوحيد الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

وأتبعت التهليلة الثالثة بقوله ((مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) ؛ «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» فيه أن «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» كلمة الإخلاص ، والله يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ، قال جل وعلا ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] ؛ فلا إله إلا الله فيها إخلاص الدين لله .

فتضمنت هذه التهليلات الثلاث تقرير معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» والتأكيد عليه وبيان حقيقته ومدلوله . ونستطيع أن نستخلص من هذه التهليلات الثلاث تعريفاً جامعاً لكلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مستخلص من التهليلات الثلاث فنقول : معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» : أن لا نعبد إلا الله وهذا مأخوذ من التهليلة الثانية ، وحده لا شريك له وهذا مأخوذ من التهليلة الأولى ، مخلصين له الدين وهذا مأخوذ من التهليلة الثالثة . هذا معنى لا إله إلا الله أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين .

ولعلك هنا تظفر بفائدة غاية الأهمية : عندما سُرع لك أيها المسلم أن تأتي بهذه التهليلات الثلاث دبر كل صلاة مع هذا التأكيد والتقرير لمعناها دبر كل تهليلة يفيدك فائدة أن هذا الذكر من باب تحقيق التوحيد والتمكين له في القلب والتوسيع لمساحته في الفؤاد وتجديد الإيمان ، ليست هذه الأذكار كلمات لا معنى لها أو ألفاظ لا مدلول لها ، وإنما أنت بإتيانك بهذه الأذكار تستذكر التوحيد وتجدد الإيمان وتقوي وتمكن للتوحيد في قلبك وأنت تأتي بهذه الأذكار العظيمة المباركة دبر كل صلاة .

قوله ((اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ)) أي أن العطاء عطاءك والأمر كله بيدك ؛ إن كتبت لأحدٍ عطاء فلا يستطيع أحدٌ رده ، وإن منعت أحداً خيراً وفضلاً لا يستطيع أحدٌ أن يعطيه إياه فالأمر بيدك ، بيدك الملك بيدك التدبير بيدك التصرف ، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، نظير قول الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢] ، نظير قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس ((وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ

اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، زُفَعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَحَّتِ الصُّحُفُ)) ؛ فالأمر بيد الله لا شريك له ، وهذا من تقوية لإيمان بالله وقدرته وأن الأمور كلها بيده ، وتقوية التوكل على الله وتفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى ، وقوة الرجاء فيما عنده سبحانه وتعالى ، وأن يلتفت المرء بقلبه بكلية قلبه إلى ربه في تحصيل ما يرجو ودفع ما يخشى ؛ فإن الأمر كله بيد الله «لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَّ لِمَا مَنَعْتَ» .

((وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجُدُّ)) ؛ الجد: أي الحظ والغنى والنصيب من رئاسة أو مال أو تجارة أو غير ذلك ؛ هذه كلها لا تنفع صاحبها عند الله كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [سبأ: ٣٧] هذا الذي ينفعه ، الذي ينفعه إيمانه وتقواه وأعماله الصالحة وتقرباته إلى الله سبحانه وتعالى .

«وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجُدُّ» : يعني صاحب الغنى صاحب المال صاحب الثروة صاحب الملك صاحب الرئاسة التجارة هؤلاء كلهم لا تنفعهم هذه عند الله ، لا تنفعهم لا الأموال ولا التجارات ولا الرئاسات كل هذه ليست بالتي تنفع ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ويدخل في جملة العمل الصالح أن يوفق الله سبحانه وتعالى صاحب المال للبذل في سبيل الله وأداء حق الله فيه واستعماله بما أحل الله وتحصيله مما أحل الله تبارك وتعالى فإن هذا يكون ماله دخل في عمله الصالح مما ترتفع به درجاته وتعلو منزلته عند الله تبارك وتعالى ، وسيأتي عندنا كلام الفقهاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام يوم أن قالوا له «ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم» وسيأتي الكلام عليه عندما نصل إلى هذا الحديث .

قال ((وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجُدُّ)) يعني لا ينفع صاحب المال والتجارة والغنى والرئاسة وغير ذلك لا تنفعه منك وإنما الذي ينفع عند الله هو العمل الصالح . فمعنى قوله ((وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجُدُّ)) هو نفس المعنى الذي دلت عليه الآية ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ؛ فلا ينفع ذا المال ماله ولا ذا التجارة تجارته ولا ذا الغنى غناه ولا ذا الرئاسة رئاسته ، وإنما ينفعه إيمانه وطاعته وعمله الصالح وحسن تقربه إلى الله سبحانه وتعالى بما يجب جل في علاه .

قال : «ثُمَّ وَقَدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَمِعْتُهُ يَأْمُرُ النَّاسَ بِذَلِكَ» وهذا من حرص معاوية هذا الصحابي الجليل الفقيه النبيل الفاضل رضي الله عنه وأرضاه على الخير ، وهذا جزء من أعمال ولاة الأمر ؛ فهو في ولايته حريص كتب إلى المغيرة أن يكتب له بما كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة فكتب له بهذه الأذكار ثم كان من بعد ذلك يأمر الناس بها يحثهم عليها .

ومما ينبغي أن يُعلم -وهذا ينبّه عليه الخطباء والدعاة وأئمة المساجد- أن هذا الذكر مما يجدر بالخطيب أن يبينه للناس عبر المنبر ، مما يجدر بالخطيب أن يبينه للناس وأن يؤكد عليه من فوق المنبر أن يعظهم ويذكرهم وينبههم على هذا الذكر . والناس أصبحوا الآن بحاجة إلى تعليمهم لهذا الذكر أن يعلموا معناه . في الزمن الأول فصاحتهم ولغتهم وفهمهم كانت كافية في فهم المعاني ، لكن الآن الناس بحاجة أن توضح لهم المعاني وتبين لهم الدلالات لضعفهم في اللغة وضعفهم في الفهم وقصورهم في العلم فيحتاجون إلى ذلك .

فهذا الذكر المبارك حقيقة مما يجدر أن يؤتى به على المنابر وفي المواعظ وفي الدروس ، وقد جاء في صحيح مسلم إحدى روايات حديث ابن الزبير أن الحجاج ابن ابي عثمان قال : «سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ يَخْطُبُ عَلَى هَذَا الْمَنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا سَلَّمَ فِي دُبْرِ الصَّلَاةِ أَوْ الصَّلَوَاتِ.. ثم ذكر هذا التهليل» قال ذلك على المنبر رضي الله عنه .

فالعناية بهذا الذكر من فوق المنبر تعليماً للناس هذا في غاية الأهمية. وأذكر مرة من المرات ألقىت خطبة جمعة بنيتها على هذه الرواية رواية الحجاج ابن أبي عثمان أنه سمع ابن الزبير يقول على المنبر ومن خلالها انطلقت في التأكيد على أهمية هذا الذكر وأيضاً توضيح معناه بتوضيح يتناسب عموم الناس ، والخطبة موجودة بالصوت وكتابةً ومن طلبها وجدها .

قال رحمه الله تعالى : ((وَفِي لَفْظٍ : كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلٍ وَقَالَ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ)) ؛ «كَانَ يَنْهَى» أي رسول الله صلى الله عليه وسلم «عَنْ قِيلٍ وَقَالَ» هذا مما كان ينهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون ديدن الإنسان وشغله الشاغل قال فلان كذا ويقولون كذا وسمعت أنه يقال كذا ، وتمضي المجالس والأوقات في قيل وقال ، وهذه طريقة فيها هدر للأوقات وربما أن يتحول هذا الذي هو قيل وقال في المجالس إلى نوع من الاغتياب واللؤك

لأعراض المسلمين ، وربما أيضا يتحول إلى نوع من السخرية والهمز واللمز قيل فلان كذا وقيل في فلان كذا ويقولون فلان فيه كذا إلى آخره من الاستطالة على الأعراض والتهجم عليها والغيبة للناس والهمز واللمز والاستهزاء وغير ذلك ، ربما تتحول أيضا إلى شيء من هذا . وإذا كان أيضا قيل وقال هذا مسلك المرء في التعلم فإن مآله إلى الندامة ، إذا كان تحصيله للعلم على هذه الطريقة قيل وقال فإنه سيرجع إلى آخر مطافه في نهاية أمره إلى الندامة مثل ما قال ذلك المتكلم في نهاية المطاف

ولم نستفد من جمعنا طول عمرنا سوى أن جمعنا قيل وقالوا

يشتغل بالفلسفة وعلم الكلام وقال فلان كذا ويقول فلان كذا ويضيع العمر في هذا الهدر وهذا الكلام الذي ليس من ورائه طائل بل من ورائه المصرة والفساد . والخير كل الخير في عناية المرء بكتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعنايته بالفقه في الدين وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) .

قال : ((وَإِضَاعَةُ الْمَالِ)) ؛ وإضاعة المال تكون بصرفه في وجوه الحرام هذا من إضاعته وهذا من أشد ما يكون لإضاعة المال أن يصرف في الوجوه التي حرم الله سبحانه وتعالى على عبده أن يضع المال فيها . ويدخل كما بيّن العلماء في إضاعة المال أن يضع المال في المباح وذمته مثلا مشغولة بنفقة واجبة ، مثل شخص مثلا يشتري هدية ثمينة لأحد الأشخاص وأولاده في البيت بحاجة إلى الطعام والشراب !! يترك النفقة الواجبة التي أوجبها الله عليه ويضع المال في أمر مباح ليس بواجب ، لكنه في هذه الحال يعتبر من إضاعة المال يُضيع ماله لم يستعمله في أمر أوجبه الله عليه وجعله في أمر قصارى ما يكون أنه من المباحات مثلا . أيضا أدخل العلماء في ذلك من الصور التي تدخل في ذلك مثل أن يشتري لنفسه مثلا مركوبا فارهاً ويتحمل في ذلك ديون وعنده أولاد وصغار بحاجة إلى أن ينفق عليهم في طعامهم وشرابهم ، لكن من أجل فقط أن يركب مركوبا فارهاً ويشاكل فلان أو يشابه فلان أو نحو ذلك فهذا من إضاعة المال ، بل قال العلماء رحمهم الله إن الفقير الذي ما عنده شيء يتكفف في حاجته يسأل الناس في حدود حاجته خير من هذا . وباب إضاعة المال باب واسع ، والناس في مثل هذا الزمان تورطوا ورطت عزيمة في تضييع الأموال ودخلت عليهم دواخل كثيرة وأصبحوا يغرون من خلال الشركات التي لا تبالي بالحرام ولا تبالي بما نهى الله سبحانه وتعالى عنه فيضعون حوافز

ويضعون جوائز ويضعون مغريات فيضع الناس أموالهم ويكون هذا الذي وضعوا فيه أموالهم ضرب من ضرب الحرام وباب من أبواب الحرام .

قال : ((وَكثْرَةُ السُّؤَالِ)) ؛ وكثرة السؤال هذا يتناول السؤال في أمور العلم ويتناول السؤال أيضا في جانب المال ؛ أما السؤال الذي يُنهى عنه في باب العلم الأسئلة التي لا يقصد منها العلم ويقصد منها مثلا المغالطة أو يقصد منها التشويش أو مجرد السؤال لا العلم ولا الفائدة هذا مما ينهى عنه ؛ ولهذا يستفاد من هذا الحديث أن باب الأسئلة العلمية باب يحتاج إلى فقه ، ومن علامات فقه طالب العلم أسئلته ، الأسئلة نفسها تدل على الفقه وحرصه على الخير والنفع له أو للآخرين ، وبعض الأسئلة تدل على أن الإنسان لا همَّ له إلا الإثارة أو التشويش أو نحو ذلك والعياذ بالله . ولهذا الأسئلة يدخلها صلاح النية وفساد النية ، الأسئلة التي تكتب أو ينطقها السائل يدخلها صلاح النية ويدخلها فساد النية ، ولا خير في سؤال لا نية صالحة للعبد فيه . وصلاح النية في السؤال انظرها في قول وفد عبد القيس قالوا : «مُرْنَا بِأَمْرٍ فَضَلَّ نَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ» فهكذا ينبغي أن تكون الأسئلة : من أجل أن تدخل الجنة ومن أجل أن تعلم الناس الخير ؛ هذا المقصد وهذا هو صلاح النية في الأسئلة .

قال : ((وَكَانَ يَنْهَى عَنِ عُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَادِ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعِ وَهَاتِ)) .

«يَنْهَى عَنِ عُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ» ؛ خص الأمهات بالذكر مع أن العقوق من الكبائر للوالدين ليس للأم فقط ، العقوق من كبائر الذنوب سواء عق أمه أو عق أباه ، فالعقوق من كبائر الذنوب كما جاء في الحديث ((أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟)) قَالُوا: «بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ» قَالَ: ((الِإِشْرَاكَ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ)) ؛ فعقوق الوالدين من الكبائر فلم حُصت الأمهات بالذكر هنا ؟ مع أن عقوق الوالدين كلاهما من أكبر الكبائر لم حُصت الأم بالذكر ؟ لسببين والله أعلم - هذا في تقديري - لسببين والله أعلم :

الأول : أن حق الأم أعظم والشيء الذي بذلته الأم أكثر ، ومما يدل على ذلك الحديث الذي في الصحيحين قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟» قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: " ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أَبُوكَ)) ؛ فذكر الأم ثلاث مرات والأب مرة واحدة. ومما قيل في ذلك أن الأم حصل منها تجاه هذا الولد ثلاث حسنات كبار عظيمة جدا لم تحصل لا من الأب ولا من غيره

وهي: الحمل ، والوضع ، والرضاعة ، هذه حسنات ثلاث كبار عظيمة جداً حصلت لهذا الولد والوالدة عانت منها أشد المعاناة ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: ١٥] ، هذه المدة الطويلة كانت الأم في أشد ما تكون من المعاناة . هذه الجهة الأولى .

الجهة الثانية : أن الأم أضعف من الأب ، الأم مقامها مقام ضعف ، الأب قد يكون عنده مثلاً قوة ، قد يكون عنده مثلاً خير ومال يُرجى ، قد يكون له هيبة ، فالابن يُحسن إليه ويتلطف معه لما يرجوه من والده ، لكن الأم ضعيفة ؛ ولهذا يجري الأبناء على الأم ما لا يجرؤون على الوالد ، فهذا خصت الأم قال : ((وعُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ))

قال : ((وَوَادِ الْبَنَاتِ)) والوَاد للبنات أي قتلهن وهن أحياء ؛ وهذا من أعمال الجاهلية ، وكانوا يقتلون البنات لسببين : خوف الفقر وأحياناً بهذا السبب أيضاً يقتلون الأولاد الذكور والله يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ [الإسراء: ٣١] يعني فقر ، فكانوا أحياناً حتى الذكور يقتلونهم . والبنات يقتلونهم خشية الفقر وخشية العار ؛ يخشى أن تكبر البنت وترتكب فاحشة فيقتلها وهي صغيرة يقول حتى ما تدنسنا إذا كبرت بعار يحصل منها فيقتلها وهي صغيرة . وكانوا في قتلهم للبنات يرتكبون حقيقة أشياء ما تتصور ، يعني ذكر العلماء في كتب الأخبار صور مما كانوا يفعلونه أذكر منها صورتين :

الأولى وهذه تقع من عدد منهم في شدة كراهيته للبنات : أن الأم إذا وصلت إلى مرحلة قرب الوضع تكون قريبة من الوضع يأتي الوالد ويحفر بجوار الأم حفرة وإذا وضعت مباشرة ينظر إن كان أنثى أدخلها في الحفرة ودفنها مباشرة ، ما تجلس في الدنيا ولا دقيقة من شدة كراهيته للأنثى ما كانت تجلس ولا دقيقة ، يجلس عند الباب إذا وضعت مباشرة ينظر إن كانت أنثى مباشرة الحفرة جاهزة بجوار الأم ويهيل عليها التراب وتُدفن في مكانها .

بعضهم يصبر قليلاً ، ومن الصور التي ذكرت أنه كان بعضهم يصبر عليها حتى الخامسة أو السادسة فيقول لأمها إذا بلغت هذا السن "جملي البنت طيبها زينها" فتجملها فيأخذها كأنها في نزهة معه وقد أعد لها حفرة ثم يوقفها إلى جوار الحفرة يقول انظري فتتقدم تنظر ماذا في هذه الحفرة ببراءتها وطفولتها فيدفعها من ورائها ويهيل عليها التراب وهي حية . هكذا كانوا

يفعلون بالإناث قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمُؤَوَّدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩] فهذه الجاهلية العظيمة الشنيعة التي كان عليها هؤلاء أنقذ الله عز وجل أمة الإسلام بهذا الدين العظيم من هذه الجاهلية وجاهليات أيضا كثيرة كان عليها أهل الضلال والباطل .

قال : ((وَمَنْعٍ وَهَاتٍ)) ؛ منع وهات أي يمنع الحق الذي عليه ويطلب ما ليس له ، وهذا مثل ما قال الله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ١-٥] . فمنع وهات يمنع الحق الذي عليه ويطلب من الحق ما ليس له ؛ هذه طريقته ، فهذا مما نهي الله سبحانه وتعالى عباده عنه .

الحاصل أن هذا الحديث حديث عظيم جدًا وجمع معاني مهمة وجليلة ، ومن هذه المعاني هذه الأذكار المباركة التي يؤتى بها دبر كل صلاة . أجد معنى يمكن أن يستفاد من مجموع ما دل عليه هذا الحديث ، لأن هذا الحديث فيما يظهر حديث واحد ساقه المغيرة رضي الله عنه فذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم يهلل دبر كل صلاة بهذه التهليلات ثم ذكر بعده أنه كان ينهى عن كذا وينهى عن كذا وينهى عن كذا ؛ فيظهر لي والله أعلم أن عناية المرء بالصلاة وعنايته بالأذكار التي يؤتى بها دبر الصلاة مما يعين المرء على السلامة من الأخلاق الذميمة والأفعال المشينة والأمور المحرمة على ما دل عليه قول الله تعالى ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] .

وأيضا من الفوائد التي تستفاد من هذا الحديث : دلالته على رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة ؛ لأن قول المغيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة كذا وكذا يدل على أنه كان يسمع ، كان يقول ذلك ويسمعه المغيرة ويسمعه غيره من أصحاب النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

نفعنا الله أجمعين بما علمنا وزادنا علما وأصلح لنا شأننا كله ، وغفر الله لنا ولوالدينا ولمشايخنا وولادة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه تبارك وتعالى غفور رحيم .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه .